دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	ابستيمية العلوم الانسانية : قراءة فى الأطر التصويرية المتصلة بالانسان والمجتمع
المصدر:	قراءات في ابستيمولوجيا العلوم الانسانية
الناشر:	مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع
المؤلف الرئيسي:	قلامين، صباح
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2018
مكان انعقاد المؤتمر:	الجزائر العاصمة
الهيئة المسؤولة:	مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع
الصفحات:	8 - 29
رقم MD:	915265
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	العلوم الانسانية، فلسفة العلوم، المناهج العلمية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/915265

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

ابستيمية العلوم الانسانية
قراءة في الأطر التصورية المتصلة بالإنسان والمجتمع

د. قلامين صباح،استاذة محاضرة (أ)
كلية العوم الاجتماعية،جامعة
خميس مليانة

مدلول العلوم الإنسانية:

يرجع مصطلح العلوم الإنسانية إلى اللغة الفرنسية،التي ترجم إليها أحد كتب الفيلسوف الألماني ديلتي (W. Diltey) (1911) بعنوان: «المدخل إلى العلوم الإنسانية»،غير أن تأصيل هذا المصطلح لم يتم إلا في منتصف القرن العشرين، عندما صدر مرسوم جمهوري بفرنسا يسمي كليات الآداب ب«كليات الآداب والعلوم الإنسانية»، وكان ذلك سنة 1958 .([1])ويطلق هذا الاصطلاح على العلوم المسماة بالعلوم المعنوية،وهي تبحث في أحوال الناس وسلوكهم([2])،كما يشير مصطلح العلوم الإنسانية إلى مجموعة من العلوم التي تتخذ الإنسان كموضوع للدراسة بهدف الكشف عن أبعاده المختلفة (نفسية - اجتماعية - اقتصادية ..)،أو التي تشكل الظواهر الإنسانية مجال بحثها.

فهي تدرس الإنسان كإنسان له صفات مميزة وسمات خاصة،وهي العلوم التي تدرس الإنسان بوصفه موجودا يتميز عن الجماد والنبات والحيوان بسمات خاصة،ومن هذه العلوم : علم النفس،وعلم الاجتماع ، وعلم الاقتصاد والتاريخ ([3]).وتعرف بأنها تلك العلوم التي تدرك العالم على أنه ينطوي على معان،وتتكون معرفتها بتلك المعاني" وهذا يعني أن علوم الإنسان تحاول النفاذ إلى الأفكار والمشاعر والمعاني والمقاصد التي تقف وراء الواقع أو التعبيرات المختلفة وإدراكها إدراكا

---

[1] -Encyclopaedia Universalis ,V XIV p767,

[2] - د. جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، دار الكتاب اللبناني بيروت ،لبنان،1982،ص101.

[3] - إمام عبد الفتاح إمام ، **مدخل إلى الفلسفة**، دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة ، 1977،ص159.

كميا([1])فالعلوم الإنسانية سميت كذلك باعتبارها تمثل جنسا معرفيا خاصا تقوم خصوصيته على خصوصية موضوعه بما هو جزء من الطبيعة يتميز عن سائر الأجزاء الأخرى و يتعالى عليها.([2]) وهي حديثة العهد مقارنة مع علوم الطبيعة...فإذا كان ما يعبر عنه باستقلال العلوم عن الفلسفة قد تجسد - ما بين ق16 و 18- في تأسيس العلوم الطبيعية كتعبير عن نقل الظواهر الطبيعية إلى دائرة الاهتمام العلمي وتحريرها من التصورات الميتافيزيقية،فإن الظواهر الإنسانية لم تعرف بدايتها العلمية إلا في مرحلة متأخرة (ق20/19) بعد فترة طويلة ظلت فيها موضوعا للتأمل الفلسفي...وقد ساهم هذا التأخر التاريخي، الذي حتمه منطق التطور العلمي، في جعل نشأة العلوم الإنسانية ذات طبيعة إشكالية نظرا لما ترتب عنها من قضايا نظرية ومنهجية خصوصا في ظل تأثير النموذج الفيزيائي/التجريبي الذي تبلور في سياق تطور العلوم الطبيعية، وتجلى في مدى قدرة علوم الإنسان على استيفاء شروط علميتها. وبالرغم من ان العلوم الإنسانية كعلم الاجتماع وعلم النفس والانثربلوجيا أو الاقتصاد حديثة النشأة،إلا أن الدراسات الاجتماعية والنفسية والاقتصادية قد وجدت دوما مبثوثة في ثنايا المصنفات الفلسفية .

علوم انسانية ام اجتماعية؟

لقد ثار الكثير من الجدل حول قضية التميز بين العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية ، فالعلوم الاجتماعية ظهرت بخصوصياتها المتميزة قبل ظهور مصطلح العلوم الإنسانية الذي جاء متأخراً. فقد كانت العلوم الإنسانية تشمل كلًّا من علم النفس وعلم الاجتماع، وكانت العلوم الاجتماعية تتميز عنها وتشمل علوم القانون والسياسة والاقتصاد، وهي من اختصاصات كليات الحقوق. ثم تعددت فروع العلوم الاجتماعية والإنسانية بنمو البحث فيها ونزوع الباحثين إلى التخصص في الموضوعات أو الظواهر الجزئية،فوقع الخلط بين العلوم الاجتماعية،وبين العلوم

---

[1]- د. علي عبد المعطي ،**قضايا العلوم الإنسانية إشكالية المنهج** ، ورقة العمل البحث عن منهج للعلوم الإنسانية ، إشراف وتقديم د. يوسف زيدان ، وزارة الثقافة بمصر . ص16.

[2]- محرز الحمدي، **الفكر و الحياة في فلسفة العلوم الإنسانية**،دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع بيروت،لبنان،2010،ص11.

الإنسانية نظراً لما كان بين موضوعاتها من التداخل والاشتراك ([1]). اذ ظلت هذه العلوم موسومة بالخلط والتداخل، مما صعّب تحديدها وتصنيفها إلى حد التعذر.

اذ يرى البعض ان ليس هناك جدوى من الفصل بينهما لأنه لا يمكن تصور إنسان خارج المجتمع ولا يوجد مجتمع من دون بشر.ومن بين هؤلاء **كلود ليفي ستراوس**Claude Levi Strauss، **الذي** يرى ان هناك ترادف بينها،فالتميز بينهما يكون من الناحية التطبيقية فقط، فالعلوم الاجتماعية تهتم بالمظهر الملموس والمهني للنشاط البشري،في حين ان العلوم الإنسانية تتخذ موقعها خارج أي مجتمع بعينه،أي أنها تدرس المجتمع بغض النظر على وجوده الواقعي في أي رقعة جغرافية ما،وهي تتبع هنا سبيل العلوم الطبيعية،وهي التي تتجاوز المظاهر في مقارباتها للواقع،هادفة بذلك فهم العالم([2]).وقد اقترح كلود ليفي ستراوس معايير للتمييز بين العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، صاغها على النحو الآتي:

إذا كانت العلوم تعنى بالظواهر التي تنشأ من الحياة الجماعية للإنسان كالاقتصاد، والقانون، والسياسة فهي علوم اجتماعية، لكن هذه العلوم لا تتناول إلا ما هو مشترك بين جميع أفراد المجتمع وفئاته. أما إذا كانت العلوم تتناول ما يعتبر ظواهر فردية تنبثق من سلوك الأشخاص كأشخاص، فهي علوم إنسانية مثل الظواهر التي يبحثها علم النفس، في الغالب، والفلسفة([3]).ويرى ليفي ستراوس انه يمكن تجاوز هذا الارتباك والخلط حين يصنف كل فعاليات الإنسان، التي هي موضوع البحث العلمي في العلوم الإنسانية إلى ثلاثة أصناف:

1- صنف الآداب الفنون.

2- صنف العلوم الاجتماعية، التي هي القانون والاقتصاد والسياسة وبعض فروع علم الاجتماع.

---

[1] محمد الكتاني، العلوم الإنسانية بين واقعها الإشكالي وآفاقها المرجوة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير،1999، سلسلة الدروس الافتتاحية، الدرس 15، ص5.

(يبدو أن هذا الخلط ما زال قائماً في البحوث والدراسات العربية، وهذا ما يبدو من النصوص المستشهد بها في هذه الدراسة).

[2] زمام نور الدين: دروس حول العلوم الاجتماعية- 2010/12/10 . في الموقع :

ht&Knol.google.com/≠sclient=psy-ab

[3] كلود ليفي ستراوس، الأنثروبولوجيا البنيوية، تعريب حسن قبيسي، الجزء الثاني، مقالات في الإناسة، بيروت، 1982، ص123.

3- وصنف العلوم الإنسانية، التي هي علوم التاريخ، والآثار والأنثروبولوجيا واللسانيات، والفلسفة، والمنطق، وعلم المناهج، وعلم الاجتماع...

فالعلوم الاجتماعية بالنسبة لستروس تعنى بالدراسات التي تهتم بالمؤسسات والنظم الاجتماعية القائمة في الوسط الاجتماعي بالذات مع ما يترتب على هذا الاهتمام من عناية بتكوين الأطر والفعاليات البشرية للقيام بنشاط مهني معين كالقضاء، والمحاماة،والإدارة.مع الأخذ بعين الاعتبار الجانب العلمي التطبيقي الممكن للنظريات في حياة المجتمع،كما في الاقتصاد السياسي.أما العلوم الإنسانية فتضع نشاطها في إطار عام وواسع؛أي خارج أي مجتمع مخصوص،لأنها تسعى لتحصيل معرفة عامة وشاملة،لا تخصّ فرداً بالذات ولا مجتمعا بالذات مثلما هو الشأن في علوم اللغة،أو الفلسفة،أو علم المناهج والمنطق([1]).

ويذهب آخرون إلى أن التمييز بينهما يكون من ناحيتين: إما من ناحية كونها صفة، فالعلوم هي إنسانية واجتماعية أو من ناحية كونهما اسمين: فهناك علوم الإنسان وعلوم المجتمع ([2]).وقد قارب صلاح قنصوة بين مصطلح العلوم الإنسانية ومصطلح العلوم الاجتماعية وجعلهما مترادفين، حيث قال:" فأما مصطلح العلوم الاجتماعية فهو أقرب لأن يكون مرادفا لمصطلح العلوم الإنسانية، فالإنسان مما يكن من تنوع سلوكه وتفرده لابد أن يكون منضويا في سياق اجتماعي،وقد صدر هذا المصطلح عن التقاليد الفكرية الأنجلوساكسونية التي تستخدم مصطلح'إنسانيات' للدلالة على الآداب والفلسفات والدراسات المعيارية وهو ما لا ينبغي أن يخلط عندها بالعلوم ..."([3])، فمصطلح العلوم الإنسانية عنده مرادف لمصطلح العلوم الاجتماعية.أما يمنى الخولي فهي ترجح مصطلح العلوم الإنسانية في الاستعمال،حيث قالت:" ...لكن مصطلح العلوم الإنسانية الذي بدأ يسود في السنوات الأخيرة يبدو أصوب،لأن الإنسان وان كان لا يتواجد إلا في صورة جمعية فإنه الموضوع المحوري ، والوحدة النهائية التي ترتد إليها الدراسة في كل حال "([4]).

---

[1] -محمد الكتاني، العلوم الإنسانية بين واقعها الإشكالي وآفاقها المرجوة، ص10.

[2] - زمام نور الدين : المرجع نفسه

[3] ا صلاح قنصوة ،الموضوعية في العلوم الانسانية ، ص 6.

[4] مشكلة العلوم الانسانية (تقنينها وامكانية حلها) ، يمنى طريف الخولي ،هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة مصر ، دط ، 2012م ، ص14

وبشكل عام،فان التميز بين العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ضرورة منهجية لتحديد المجالات العلمية التي تدرس الإنسان من حيث أصوله وثقافته وانجازاته،في حين ان العلوم الاجتماعية تضم كل الفروع العلمية التي تدرس نشاطات الإنسان داخل المجتمع سواء تعلق الأمر بالأنشطة الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية أو التربوية.كما ان تقسيم العلوم الاجتماعية والانسانية في حد ذاته ليس حتمية رياضية او نتاج معادلة علمية تحتم مثل هذا التقسيم،فالاقتصاد وعلم الاجتماع والانثروبولوجيا ،والادب المقارن،والعلوم السياسية ... كلها منتجات ثقافية تاريخية نشأت في بيئة حضارية معينة والحدود بينها ليست مقدسة.

ولقد كانت نشأة هذه العلوم عبر سلسلة من التراكمات الفلسفية ابتداء من الإرهاصات الأولى لحضارات الشرق القديم مرورا بالتراث الفلسفي الإغريقي والإسهامات الرومانية والإسلامية وصولا إلى عصر النهضة الذي استفاد من الإسهامات السابقة، ثم إعطائه لدفعة منهجية قوية لهذه العلوم لينقلها من فلسفة اجتماعية إلى علوم اجتماعية وانسانية ذات تقنيات منهجية مستقلة طورت التعامل مع الظواهر من مستوى التوصيف إلى مستوى التحليل والتفسير. فنشأت بذلك مدارس أكاديمية تعددت بتعدد الرؤى لمجال الدراسة من جهة،أو طبيعة المنهج وتطبيقاته من جهة أخرى،بحيث تشكلت موجات أكاديمية متعاقبة جسدت المستوى الذي بلغته هذه العلوم لدى الغرب كالانتقال من طور الدراسات البنيوية أو النسقية للظواهر في إطار المنهج البنيوي النظمي مرورا بالدراسات الوظيفية الحركية التي تأخذ بعين الاعتبار وظائف البنيات متجاوزة بذلك تحليل أنساقها البنيائية، وصولا إلى الدراسات التفكيكية التي هي في طور التشكل.

اشكالية المنهج العلمي في العلوم الانسانية

وتعتبر اشكالية المنهج العلمي في العلوم الإنسانية من بين أهم الاشكاليات الابستيمولوجية المعاصرة التي لها تاريخ طويل في الفكر الأوروبي- مقارنة بالفكر العربي- حيث عاش المجتمع هذه الإشكالية منذ العصور المظلمة(عصر محاربة الكنيسة للعلم)إلى أن تمكن العلم بمناهجه وتجاربه من ان يثبت جدارته ويتغلب على الأفكار اللاهوتية والميتافيزيقية التي جعلت من أوروبا تعيش زمناً طويلا من الجهل والظلام .فقد استطاع الإنسان التفكير بطريقة علمية مكنته من أن يصنع ويخترع في ميادين مختلفة وذلك بالاعتماد على مناهج تساعده في ذلك،على اساس

ان المنهج هو الطريقة الأقصر والأسلم للوصول إلى الهدف المنشود ([1]).الا أن العلم في الواقع ليس إلا نشاطا إنسانيا يتأثر في بناء مناهجه وتوجيه بحوثه بما تتأثر به النشاطات الانسانية الأخرى،فالعلم يتأثر بالديناميكيات التي يدور في نطاقها عمل الباحثين و العلماء.

لا أحد يشك في أن العلوم الإنسانية في الغرب المعاصر تعاني مشاكل حادة، سواء على مستوى المنهج أو فيما يتعلق بالبناء النظري. ويرى الكثير من العلماء أن هذه المشاكل المنهجية والنظرية مرتبطة بطبيعة موضوع العلوم الإنسانية من جهة، وبالمؤثرات الفلسفية والإيديولوجية التي رافقت تلك العلوم في تطورها ومسيرتها التاريخية.ثم إن هذه الفلسفات والإيديولوجيات التي صبغت العلوم الإنسانية بصبغتها، تمثل النتاج الفكري والفلسفي الذي تمخض عن قرون من الصراع بين الفكر اللاهوتي الكنسي والفكر المتحرر.

ولما دخل القرن الثامن عشر الميلادي،كانت الثقافة الأوربية قد قطعت أعظم الأشواط في التحرر من هيمنة الفكر اللاهوتي الكنسي. ورفع فلاسفة التنوير شعار العقل،وآمنوا بقدرته على فهم الطبيعة ومحاولة إدراك أسرارها باستخدام النظر والمشاهدة وإجراء التجارب بدلا من الاقتصار على القياس الاستنباطي. فأخضعوا المعارف والعلوم للدراسة العقلية المتسلحة بالنقد والتحليل.كما تميز هذا القرن بثورة علمية كبرى في مختلف ميادين العلم على أيدي ليوناردو دافنشى وكوبرنيكوس وجاليليو وكبلر،و تميز ايضا بثورة موازية في مناهج البحث العلمي والفلسفي على أيدي فرانسيس بيكون(1561-1626) **Francis Bacon** وقد نتج من عصارة جهود هؤلاء العلماء التوصل إلى نظرة جديدة واقعية للعالم الذي نعيش فيه.نظرة تبنت مصدر اخر للمعرفة يعتمد على الخبرة الانسانية و الملاحظة و الوقائع التجريبية،و في هذا يقول ألبرت ليفي أن" عصر النهضة قد أعلن التمرد على حكم الدين، ومن هنا كانت الثورة ضد الكنيسة وضد السلطة وضد الفكر المدرسي المسيحي، و ضد أرسطو". ([2])

---

[1] -د.الزعبي محمد أحمد،**التغيير الاجتماعي**، دار الطليعة لبنان ،بيروت , ط 3 ،1982 , ص30.

[2]-Levi,Albert,**History of Western Philosophy**,In:Encyclopedia Britannica,Vol14,1975,p261.

يتضح لنا مما سبق ان السمة المميزة في تاريخ الفكر الغربي القديم هي وجود صراع بين العلم والدين وقد انتهى هذا الصراع بإقصاء الدين والتفكير الديني عن مجالات الحياة وحصره داخل جدران المعابد وطرده من مجال النظر العقلي .

ومع نهاية القرن18،بزغت العلمانية كمذهب قوي في وجه الكنيسة الكاثوليكية المدعمة بالانتقادات الفلسفية والعلمية. كما توج هذا الوضع بأكبر ثورة اجتماعية وثقافية في تاريخ الغرب؛وهي الثورة الفرنسية،التي شكلت أعظم سند لقيام المنهج الوضعي،وذلك على يد أوجست كونت(1798-1857) **Auguste Comte**،في النصف الأول من القرن 19 ميلادي.اذ كان يتخذ من قانون الجاذبية الذي قال به نيوتن،نموذجا لما يجب أن يكون عليه التفكير الوضعي.([1]) فهذه الفلسفة كانت تعتقد اعتقادا جازما بأن العقل والعلم هما اللذان ينبغي أن يقودا البشرية نحو الحضارة والتقدم والرقي.وبالتالي فينبغي أن يحلا محل اللاهوت المسيحي التقليدي الذي أدى الى التواكل، وتأخر المجتمع على كافة الأصعدة والمستويات. وهكذا قامت الفلسفة الوضعية في وجه كل تفكير يخرج عن دائرة الحس،سواء كان تفكيرا دينيا،او فلسفيا او عقليا. فهي لا ترى المنطق السليم سوى في المعرفة الواقعية المنتزعة من الحس.

وفي الواقع إن اوجست كونت نقل المنهجية التجريبية من ساحة العلوم الفيزيائية لكي يطبقها على المجتمع نفسه ومختلف الظواهر الإنسانية.اذ يقول مارسيل موس (1872-1950) **Marcel Mauss**: " السوسيولوجيا هي كلمة وضعها أوجست كونت ليشير بها إلى العلم الذي يعنى بدراسة المجتمعات...وكل ما تصادر عليه السوسيولوجيا هو ببساطة، اعتبار أن ما يسمى بالوقائع الاجتماعية هي وقائع موجودة في الطبيعة.أي إنها خاضعة لمبدأ النظام والحتمية الكونيين،وأنها بالتالي، وقائع تنطوي على معقولية.([2])" وهنا تكمن إحدى الميزات الأساسية للفلسفة الوضعية. فهي فلسفة علمية دقيقة لا تؤمن إلا بالحسابات والمعادلات الرياضية والقوانين الفيزيائية. إنها فلسفة مهووسة باكتشاف القوانين، سواء أكانت القوانين

---

[1] - محمد عابد الجابري، **مدخل إلى فلسفة العلوم، دراسات ونصوص في الايبستمولوجيا المعاصرة**، الجزء الثاني: "المنهاج التجريبي وتطور الفكر العلمي"، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1982، ص 49.

[2] - Marcel Mauss, **Essai de sociologie**, éd Minuit, Paris, France, 1971, pp:6-7.

التي تتحكم بالظواهر الطبيعية والفيزيائية،أو القوانين التي تتحكم بتصرفات البشر وعقليتهم ..وكان اوجست كونت يعتقد أن البشرية كلها سائرة لا محالة باتجاه المرحلة الوضعية أو العلمية المحضة.ولكنها لن تتوصل إليها في نفس اللحظة.فالمجتمعات الأوروبية أو الغربية سوف تسبق غيرها إلى ذلك. يقول أوجست كونت: "إننا ما دمنا نفكر بمنطق وضعي في مادة علم الفلك أو الفيزياء، لم يعد بإمكاننا أن نفكر بطريقة مغايرة في مادة السياسة أو الدين. فالمنهج الوضعي الذي نجح في العلوم الطبيعية غير العضوية،يجب أن يمتد إلى كل أبعاد التفكير" . ([1])

فالوضعية تقوم على تأكيدها وحدة المنهج في التفكير بغض النظر عن الموضوع المدروس،وهي تريد بذلك سد الطريق أمام ذلك الانفصام الذي كان يعاني منه جيل ما قبل الوضعية حينما كان يستخدم المنهج الوضعي في معالجة العلوم الطبيعية و المنهج اللاهوتي في العلوم الإنسانية،وفي هذا يقول سان سيمون(1760-1825) Saint-Simon:"إن القدرة العلمية الوضعية هي نفس ما يجب أن يحل محل السلطة الروحية، ففي العصر الذي كانت فيه كل معارفنا الشخصية حدسية وميتفايزيقية بصفة أساسية كان من الطبيعي أن تكون إدارة المجتمع فيما يخص شؤونه الروحية في يد السلطة اللاهوتية،مادام اللاهوتيون آنذاك هم الميتافيزيقيين الموسوعيين الوحيدين. وبالمقابل عندما تصبح كل أجزاء معارفنا قائمة على أساس الملاحظة، فإن إدارة الشؤون الروحية يجب أن تستند إلى القدرة العلمية باعتبارها طبعا متفوقة على اللاهوتية والميتافيزيقية."([2]) فقد خضع مفكرو هذا العصر وفلاسفته لسيطرة نموذج فيزياء نيوتن القائم على التجربة،وتم تعميم أسس المنهج الوضعي ليشمل العلوم الإنسانية.([3])

وعليه فالدافع إلى تمثل العلوم الطبيعية هو تحقيق درجة كافية من العلمية و الابتعاد عن الأحكام القيمية التي تخضع لها،فالحقيقة العلمية ثابتة في ذاتها لا تؤثر فيها الأحكام القيمية بالاستحسان أو الاستهجان.والهدف من هذه النزعة

---

[1]- Raymond Aron, **Les étapes de la pensée sociologique** ,Ed Tel Gallimard , 1976; pp86-87

[2] - Pierre Ansart:***Saint-Simon***,Collection SUP philosophes 1ère édition,PUF,Paris,1969,p:22.

[3] - -محمد محمد أمزيان: "**منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية**". بيت الحكمة للترجمة والنشر، وجدة، ط3، 1996م. ص: 22-25.

التجريبية هو إقصاء التجريد والتأملات فالمنهج التجريبي يستعيض عن الخيال بالملاحظة والتسجيل الدقيق للوقائع.اذ يرى كونت انه لدينا الآن فيزياء سماوية،وفيزياء أرضية ميكانيكية أو كيماوية،وفيزياء نباتية،وفيزياء حيوانية،ومازلنا في حاجة إلى نوع آخر وأخير من الفيزياء وهو الفيزياء الاجتماعية، ذلك العلم الذي يتخذ من الظواهر الاجتماعية موضوعا للدراسة باعتبار هذه الظواهر من روح الظواهر العلمية والطبيعية والكيميائية والفسيولوجية نفسها من حيث كونها موضوعا للقوانين الثابتة ([1]).و لكن يجب عدم إغفال أن الوضعية لا تلجأ للتجربة لأنها أداة معرفية صالحة و لكنها تفعل ذلك لسد الطريق أمام التفكير الديني،تلك هي حقيقة التجربة في النزعة الوضعية فهي ليست أداة معرفية بقدر ما هي أداة ايدولوجية.فالوضعية من حيث موقفها الأيديولوجي الأساسي إنما هي علمانية قاصرة على هذه الحياة الدنيا، ومعادية للدين وللبحث فيما وراء الوجود،و أهم شروطها إنما هو الالتزام الصارم بشهادة الملاحظة والخبرة الإنسانية " ([2])

وبظهور المدرسة الوضعية العلمية على يد أوجست كونت الذي نادى بوحدانية المنهج ظهرت أول شرارة للحرب بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية وبين المناهج الوضعية التجريبية والمناهج الكيفية.وقبل ذلك كانت الإشكالية المنهجية –عند المفكرين السابقين–حيث كان ديكارت يرى أن أسس المنهج تكون عقلية،وعلى النقيض منه يرى بيكون أن أسس المنهج يجب أن تكون تجريبية،وبعد ما طرح كونت اشكالية المناهج في العلوم الإنسانية أصبح لدينا فريقين من العلماء والمفكرين فريق يرى أن العلوم الإنسانية يمكن دراستها بالمناهج التي تدرس بها العلوم الطبيعية أي وحدة المنهج بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية.حيث يرى أصحاب هذا الاتجاه أن العلوم الطبيعية قد وصلت إلى درجة من التقدم،مما يجعل مناهجها تقدم مثالا جديرا بالاحتذاء والتطبيق في المجال الإنساني.فالإنسان،في رأيهم،ليس إلا جزءا من العالم الطبيعي...ولا حرج لمادة العلاقات الإنسانية،إذا أريد

---

[1]-أحمدالخشاب،**التفكير الاجتماعي:دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية**،دار النهضة العربية،ب يروت، لبنان،1981، ص545.

[2] - Feigl, Herbert (1975) "Positivism and Logical Empiricism", in ***Encyclopedia Britannica*** 15th Ed., Vol. 14, .p. 877.

لها أن تكون علما،عن السير في نفس الطريق المنطقي الذي تسير فيه بقية العلوم الطبيعية. ([1])

وفريق على النقيض من ذلك يرون أن المناهج المستخدمة في العلوم الطبيعية غير صالحة لكي تستخدم مع الظواهر الإنسانية وذلك نظراً لاختلاف الظواهر الطبيعية عن الإنسانية، فالعلوم الطبيعية تدرس العالم الخارجي والعلوم الإنسانية تدرس العالم الداخلي و بينما تتعامل العلوم الطبيعية مع علاقات ثابتة وموضوعات مادية قابلة للقياس وتخضع للتجارب،فإن العلوم الإنسانية تفقد التجارب والقياس وتتعامل مع موضوعات معنوية غير ثابتة.ومن الخطأ إذا،تطبيق المناهج التي ثبت نجاحها في العلوم الطبيعية على العلوم الإنسانية،لأن هذا سوف يؤدي إلى خلط كبير،بل هو السبب في تخلف العلوم الإنسانية.فالوحدة المنهجية في رأيهم مرفوضة لأنها تقوم على افتراض غير مؤكد،فحواه أن الطرق المستخدمة من قبل العلماء الطبيعيين هي وحدها المتصفة بالعلمية .([2])وهكذا إذا كانت القوانين الفيزيائية والبيولوجية والجيولوجية صالحة في كل زمان ومكان لكون العالم الطبيعي يحكمه نسق من الاطرادات الثابتة،فإن القوانين الإنسانية لا تخضع للنسق نفسه،لأنها تختلف باختلاف الزمان والمكان.إن البحث العلمي إنما هو مجرد نشاط إنساني متأثر في نشأته وتطوره بالظروف التاريخية والاختيارات الثقافية والقيمية الخاصة بالمجتمعات الغربية...وأنه بهذا يحتمل ظهور توجهات أخرى منبثقة من نظرات أخرى للكون والحياة... نظرات قد تتطلب إدخال تعديلات جوهرية على تلك النظرة التقليدية خصوصا عند التعرض بالدراسة للظواهر الإنسانية. ([3])

كما ظهرت العديد من الاتجاهات التي نادت برفض الوضعية وتبني الاتجاهات العقلية في دراسة الظواهر الإنسانية وظهرت في كتابات العلماء (دلتاي – هوسرل –فندلباند –وريكرت) وظهرت العديد من المناهج في هذا المجال مثل المنهج الظاهراتي والهرمنوطيقي والمنهج الابستمولوجي منهج علم اجتماع المعرفة والمنهج النقدي الذي ظهر على يد علماء مدرسة فرنكفورت.وظهرت ايضا العديد من

---

[1] .علا مصطفى أنور: "**أزمة المنهج في العلوم الإنسانية**"،المعهد العالمي للفكر الإسلامي؛"قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية،ص187.

[2] -د. علا مصطفى أنور: "**أزمة المنهج في العلوم الإنسانية**"، ص 189 .

[3] -د. إبراهيم عبد الرحمن رجب، **التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية**، دار علم الكتب، الرياض، 1996، ص 51.

الانتقادات الموجهة للمدرسة الوضعية باعتبارها اختزلت العلم إلي مجرد علم للوقائع وانها نفت الأسئلة المتعلقة بالإنسان من قاموسها فهي تشيء الإنسان وتموضعه وتجرده من إنسانيته .ومن ناحية أخرى، فإن المناهج والدراسات الاجتماعية والتنظيمية لا يمكن فصلها عن الاتجاهات الفلسفية والإيديولوجية التي تسيطر عليها،بل وتؤثر في عملية التنظير العلمي والمنهجي.فإذا كانت"فلسفة العلم"هي القاعدة التي تقوم عليها العلوم الطبيعية،فان "فلسفة العلوم الإنسانية" هي القاعدة التي تقوم عليها العلوم الإنسانية أو العلوم الاجتماعية." ([1])

نستنتج مما سبق ان الأثر الدائم الذي تركه كونت يتمثل في أنه قد انشأ توجها مضادا للدين ولما وراء الوجود في فلسفة العلوم استمر معنا حتى الوقت الحاضر([2])

ولقد ظهرت في القرن العشرين فلسفة هي امتداد للفلسفة الوضعية التي أسسها كونت وهي الفلسفة الوضعية المنطقية أسسها موريس شليك(1882. 1936)**Moritz Schlick** عام 1929،وتبناها عدد من المفكرين والفلاسفة من أبرزهم رودولف كارناب, وبرتراند راسل.حملت هذه الفلسفة أسماء عدة منها: التجريبية العلمية،التجريبية المنطقية،حركة وحدة العلم والتجريبية الحديثة،الفلسفة التحليلية.

إن أبرز ما يطرحه دعاة هذا التيار الوضعي الحديث أو المنطقي هو التأكيد أن معرفتنا عن العالم تأتي عن طريق التجربة وحدها،وأن الفلسفة تقوم بالتحليل المنطقي ،شأنها شأن بقية العلوم،معتمدين في ذلك على المنطق الرياضي المعاصر آنذاك (نهاية القرن 19 وبداية القرن 20) فقد ظهر في تلك الفترة ما سمي بالمنطق الرياضي أو الرمزي.اذ يرى برتراند رسل انه بالإمكان إرجاع جميع المفاهيم الرياضية إلى علاقات تقوم بين الأعداد الطبيعية وأن هذه العلاقات ذات طبيعة منطقية بحتة.ونتيجة لذلك افترض راسل أنه يمكن استنباط الرياضيات كلها من المنطق.

ولكن على الرغم من تبني هذه الفلسفة للعلم واعتباره المنطلق الأساس وربما الوحيد عند بعض مفكري هذا التيار في تفسير حركة الواقع بشقيه الطبيعي

---

[1]-علا مصطفى أنور**التفسير في العلوم الاجتماعية**،دراسة في فلسفة العلم؛دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة،1988،ص7.

[2]- Levi, Albert W. (1975) "History of Western Philosophy" ,p270.

والاجتماعي،وفي إعادة بناء المجتمع من جديد بصورة تخدم تطور الإنسان وتحقيق سعادته،غير أنها ظلت تدور في نطاق الفلسفات التجريبية المثالية لعلم الاجتماع البرجوازي،إذ ان دراسة الكثير من الوقائع المحدودة الزمان والمكان، لم تضع في حسبانها استنتاجات تتعلق بالنواحي الرئيسية لقوانين حياة المجتمع، ويأتي على رأسها قوانين الصراع الطبقي،والتناقضات الاجتماعية الرئيسة.بل ظلت تدور في نطاق إجراءات خاصة وتكنيك البحث التجريبي الذي يشمل الملاحظة،المعالجة الإحصائية للمواد المجمعة،ووضع المدارج والخطوط البيانية.. إلخ. الا أن الثلث الثاني من القرن العشرين قد شهد تحولا نحو استبعاد اصطلاح" الوضعية " واستخدام اصطلاح" الإمبيريقية المنطقية Logical Empiricism "بدلا منه بسبب الارتباط الشديد للوضعية بفكر كونت من جهة وبموقف ارنست ماخ المتطرف من جهة أخرى عندما بالغ في التأكيد على الحقائق الإيجابية الحسية للملاحظة.([1])و يمكن القول ان الإمبيريقية المنطقية تمثل اليوم النموذج السائد في فلسفة العلوم الانسانية .([2])

نستنتج مما سبق ان الصراع ضد الكنيسة و الفكر الديني ادى الى نشاة أزمة معرفية ظهرت واضحة للعيان في مناهج العلوم وأثّرت بدورها على مجمل أوجه ومجالات الحياة، ذلك أن إقصاء الوحي من توجيه المعرفة أدى لانحصار المعرفة في مجال العالم المشاهد،وطبع المعرفة بطابع الظنية والنسبية وما ذلك إلا لأن المعرفة كانت معرفة بشرية قاصرة عن إدراك ما وراء الحواس.

التنظير للعلوم الانسانية في الفكر العربي

ان الاشكال الملح الذي يطرح في هذا المجال هو هل يملك الفكر العربي الأدوات المعرفية الكفيلة بتأسيس علوم إنسانية تراعي خصوصيات الواقع الثقافي العربي؟

ينبغي الاشارة الى انه لم يكن انخراط الواقع العربي،في مجال العلوم الإنسانية، انخراطاً واعياً أفضت إليه مراحل التغيير والنمو والتطور الذاتي والتلقائي التي قطعها المجتمع العربي،وانما نشأ في إطار عمليات التغريب التي فرضتها العلوم

---

[1]-Feigl, Herbert "**Positivism and Logical Empiricism**", in Encyclopedia Britannica 15th Ed., Vol. 14, 1975 ,p88 .

[2]-Tudor, Andrew (1982) ***Beyond Empiricism*** (London: Routledge & Kegan Paul).

ومناهجها ونتائجها،ومختلف مظاهر الحياة وأنماط السلوكات،التي انتقلت إليهم بفعل الاستعمار المباشر،ثم بفعل التأثيرات التي ترتبت عنها في تلافيف المجتمع وبنيات الواقع،وفي مختلف جوانب الفكر والثقافة والمعرفة([1]).اذ يتضح من خلال ما يعيشه العالم الاسلامي العربي لعقود من الزمن قصور في تقديم حلول قادرة على تجاوز العطب والانسداد المنهجي، فالاشكالات المعاصرة التي تعاني منها المجتمعات العربية الاسلامية تحتاج الى مقاربة اكثر عمقا ومواكبة لتطور المعرفة الانسانية والى تجديد بناء علوم الحضارة والتي تتضمن مختلف العلوم المتعلقة بالاجتماع الانساني،لابد للتجديد ان يشمل جل هذه العلوم من اجل اعادة تركيبها وتصنيفها.

فلقد كانت نشأة هذه العلوم في تربة غير تربتها،وفي واقع بخصوصيات سوسيوتربوية وثقافية ومعرفية وتاريخية مختلفة-تماماً- عن واقعها الأصلي،فاختلط فيها همَّان متداخلان:همّ متابعة واستيعاب مظاهر التطور الفكري في العلوم الإنسانية والاجتماعية في الغرب، وهمّ رصد واقع وتحولات الواقع الاجتماعي نفسه ([2]).فرغم محاولات مجتمعاتنا العربية لمسايرة التطورات المختلفة،إلا انها لم تحقق النتائج المرغوبة،نظرا لاستخدامها مناهج ونظريات مجتمعات أخرى،لان المناهج والنظريات لا تجدي نفعا في مجتمع لم ينبع منه وله،فكل نظام صمم لمجتمع معين،وفق ثقافة معينة تختلف باختلاف المجتمعات المتباينة في تطورها الحضاري.ومن الملاحظ أن النظريات المعتمدة في المجتمعات العربية من خلال الدروس المحتواة في البرامج الجامعية متجاهلة مسألة الخصوصية،مما يميزها بنزعة لا تاريخية،من خلال إسقاط المحتوى التاريخي للمجتمعات الغربية على مجتمعنا، ويستوجب هذا،النظر في النماذج النظرية الغربية،ومحاولة استقاء نماذج ملائمة من واقع التراث العربي.

إن الواقع العربي لم يحقق ذاته ثقافيا،نتيجة العراقيل الكثيرة التي تعوق مسيرة الثقافة العربية،فالصراع لا يزال قائما بين أنصار القديم وأنصار التحديث،فهناك الثقافة العربية الكلاسيكية التي لا نعرف عنها سوى الشيء القليل

---

[1] كمال عبد اللطيف، تأصيل العلوم الإنسانية في الفكر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص17.

[2] تقديم العدد، مجلة الوحدة (كلمة الوحدة) ،العدد 50، (المغرب)، تشرين الثاني (نوفمبر) 1988/ ربيع الثاني 1409.

بسبب محدودية الأبحاث الجيدة حول تاريخها،وهناك الثقافة العربية المعاصرة التي،وبفعل ازدواجيتها،نجدها تعيش في ضياع شبه كامل؛لأن زمنها الثقافي لا علاقة له بذاتية الفكر العربي وبخصوصية واقعه الاجتماعي.فباسم الأصالة والمعاصرة نجده يخلط بين أزمنة ثقافية وممارسات فكرية حيث ينكص تارة إلى الماضي وينشد إلى إنتاج السلف لإحياء التراث،ويتطلع تارة أخرى إلى المستقبل فينصاع مع نتاج الغرب ليحقق التقدم،ولو عن طريق التقليد والتبعية([1])،بدل البحث المستمر عن النموذج الأصلح للمحاكاة والاستهلاك،فتسبب هذا الوضع في انفصام الذات العربية وانفصالها عن مشاكلها الحقيقية،لتغرق في متاهات بعيدة كل البعد عن مشاكلنا وانشغالاتنا وقضايانا وأزماتنا.

إن تناوب آليتي التقليد والتحديث على ساحة الوعي العربي يعدّ دليلا على تأخر الزمن الثقافي العربي وعدم تثبيته لدعائمه،كما ان عدم وضوح الرؤية المنهجية،يرجع بالأساس إلى غياب النقد الإبستيمولوجي على الساحة الثقافية العربية التي ما تزال تفتقر إلى مقومات العلمية.حيث لم تطرح بعد،في ساحتنا الثقافية،تلك الإشكالية الضخمة الخاصة بالعلاقة بين العلوم الإنسانية من جهة وبين العلوم الدقيقة من جهة أخرى،كما لم تطرح بعد مسألة الحدود المميزة بين العلوم الإنسانية والأيديولوجيا،فما نزال نخلط بين هذه وتلك([2]).كما ان العقلية العربية ما تزال بعيدة كل البعد،عن التطور العلمي وشروطه ومستلزماته؛لأنها لم تصل بعد إلى وضعه في إطاره الصحيح.

كما نجد أن انتاجنا في نطاق العلوم الإنسانية يغلب عليه طابع المحاكاة والاجترار لما يصدِّره إلينا الغرب،من نماذج نظرية،وصيغ معرفية محملة بقوالب أيديولوجية غريبة عن حضارتنا وتاريخنا.وهذا سبب يكمن وراء عجزنا عن وضع تصور شمولي لعلوم إنسانية قومية قادرة على تحليل بنياتنا النفسية وعلاقاتنا الاجتماعية وخصوصياتنا الاقتصادية وظواهرنا اللغوية ([3]). فالنخب التي تولت بناء

---

[1] الغالي أحرشاو، معوقات التأسيس العلمي للعلوم الإنسانية في الوطن العربي، مجلة الوحدة، الرباط، العدد 50، ص20.

[2] هاشم صالح، الفكر المستحيل (المقدمة الإبستيمولوجية)، مجلة الوحدة، العدد 26/ 27، نوفمبر/ ديسمبر 1986، 47.

[3] الغالي أحرشاو، معوقات التأسيس العلمي للعلوم الإنسانية في الوطن العربي، مرجع سابق، ص31.

أنظمة التعليم،لم تكتف بالنقل الحرفي والآلي للمناهج والآليات فحسب،بل حتى المضامين والفلسفات والقيم،خاصة وأننا نفتقر لنخب متخصصة في مستوى وعى المحتوى الإيديولوجي العميق لتلك العلوم،بل ان معظم النخب الأكاديمية التي تولت استحداث كليات العلوم الاجتماعية والانسانية ترعرعت بين أحضان الجامعات الغربية والأمريكية،فتم استنساخ النمط الغربي منهجيا وموضوعيا وحتى مؤسساتيا.وعليه فان مضمون العلوم الانسانية والاجتماعية ماهو الا محاكاة للنموذج الغربي الاوربي ثم الامريكي بعد نهاية الحرب الباردة علما بان هذه الخاصية هي ام المشكلات الأخرى.ولهذا السبب كانت هذه العلوم بعيدة كل البعد عن هموم وقضايا المجتمع المسلم، واحتياجات البناء والتنمية،والاكثر من ذلك توقف الخطابات التعليمية والابحاث الاكاديمية عند مناقشة مسائل مستهلكة تجاوزها أصحابها وفي اغلبها سطحية لا تمس صلب الأزمة التي تمر بها مجتمعاتنا الإسلامية.ولاسبيل إلى تجاوز الوضعية الراهنة بكل سلبياتها،إلا بالتسلح بوعي نقدي يهدف إلى مساءلة الذات والوقوف عند مكامن الخطأ فيها،وأولى الخطوات يجب أن تكون بالمساءلة النقدية الهادفة لهياكلنا المؤسسية ومرتكزاتها النظرية والمنهجية،وهذا لا يتم إلا بممارسة المنهج النقدي والالتصاق بالواقع المحلي من خلال منهج ثاقب يسمح بإدراك الواقع إدراكا شاملا وصحيحا([1]).

علاقة الوحي بالعلوم الانسانية: الأطر التصورية المتصلة بالإنسان والمجتمع

لقد اعتبر النموذج الطبيعي سلطة مرجعية للعلوم الإنسانية والاجتماعية .الا ان هذه العلوم قد استبعدت تماماً القيم الرُّوحية والدينية أي عدم وجود السياج الأخلاقي. وهو ما أدى إلى حدوث آثار هدّامة.فالظواهر الإنسانية والاجتماعية ليست في واقعها وحقيقتها مظاهر حسية، فهناك جوانب غير مادية في الإنسان بما في ذلك تفكيره وغاياته التي لا يمكن التعرُّف عليها الا عن طريق الملاحظة الداخلية ،أي بفهم المعاني التي تعبِّر عنها هذه التصرفات وهي معاني نابعة من شعور الإنسان وإحساسه الداخلي .فقد استبعدت العوامل الروحية والقيم من نطاق الدراسة،وهي

[1] جورج قرم، معضلات البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والاقتصادية في العالم العربي، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 1، 1980، ص32.

قضايا تشكل جزء مهم من نشاط الإنسان في تفكيره وثقافته وعاداته وتؤثّر في توجيه سلوكه.وبالتالي تم استبعاد مايتولد عن هذا النشاط من علوم مرتبطة بقيم الإنسان.كما انتهت المنهجية الوضعية إلى إنكار وجود إله خارج الشعور الجماعي لأفراد المجتمع أو خارج شعور أفراد الإنسانية فضلا عن الاعتراف بوجود موجودات عالم الغيب بما في ذلك اليوم الآخر .

و الأهم من ذلك كله هو عدم الاعتراف بالوحي مصدراً للمعرفة،وهو العامل الأهم في فساد الفلسفة الوضعية،لأنها بإبعادها الوحي حصرت نفسها في الوجود المادي ولم تر وجودا وراء هذا الكون المحسوس،فإقصاء الوحي من توجيه المعرفة أدى لانحصار المعرفة في مجال العالم المشاهد،وطبع المعرفة بطابع الظنية والنسبية و ذلك لأن المعرفة كانت بشرية قاصرة عن إدراك ما وراء الحواس.اذ يرى البعض أن تشييد الدراسات الإنسانية على غرار العلوم الطبيعية بحيث تكون نموذجا مشابها لها تماما،هو ضلال عقلي،وعقم علمي،وخطر أخلاقي:هو ضلال عقلي لأنه يتجاهل العمليات المعرفية المألوفة، وعقم علمي لأنه لا ينتج المعرفة التي نحتاجها، وخطر أخلاقي لأنه يقبل تصور الإنسان على أنه شيء آخر في عالم مادي طبيعي. ([1])ويؤكد عدد من الباحثين([2]) أن أزمة العلوم الإنسانية مردها إلى «واحدية العلوم»([3])التي سعى دعاتها إلى فصل النشاطات الإنسانية عن كل المعايير الأخلاقية المتجاوزة،وإلحاق الإنسان بالظواهر الطبيعية المادية حتى لا يصبح هناك فارق بين الإنسان والطبيعة، بل يصبح جزءا منها، يخضع لقوانينها وحتمياتها، ويذعن لسماتها المتمثلة في القياس الكمي الدقيق، والقابلية للتقنين، فتغدو معرفتنا بالإنسان أشبه بمعرفتنا بالظواهر الطبيعية في الدقة والصرامة والموضوعية، وذلك عن طريق

---

[1]علي عبد المعطي محمد،**رؤية معاصرة في علم المناهج**،دار المعرفة الجامعية،مصر،1984ص321322.

[2] - نكتفي هنا بالإشارة إلى دراسة: جابر الحديثي: "**أزمة العلوم الإنسانية**"، الفكر العربي، مجلة الإنماء االعربي للعلوم الإنسانية، معهد الإنماء العربي، بيروت، ع 38/37.، 1985م.

[3] - استعرنا هذا المفهوم من عبد الوهاب المسيري،وهو مفهوم يفترض أن ثمة وحدة عامة شاملة تنتظم العلوم كافة(الطبيعية والرياضية والاجتماعية والإنسانية)،باعتبار أن الإنسان جزء لا يتجزأ من الطبيعة/المادة لا وجود له خارجها... واعتبار أن ثمة قانونا واحدا)طبيعيا/ماديا) يسري على جميع الظواهر الإنسانية والطبيعية، أي أن ثمة واحدية كونية مادية."عبد الوهاب المسيري: "**العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة**،". دار الشروق، القاهرة، ط1: 2002م، ص: 56.

استخدام مناهج العلوم الطبيعية في دراسة الظواهر الإنسانية.و اذا لم تطابق الظواهر الإنسانية قوانين هذه المناهج، فإنه قد يلجأ إلى تطويع هذه الظواهر لتطابق القوانين المسبقة، وهذا ما يفعله بعض المتفلسفة، فقد أصبح العلم الإنساني عندهم، أكثر علمية من العلم الطبيعي، إذ يعسر أن تجد عالما واحدا من علماء الطبيعة وصل به الجهل إلى حد محاولة إصلاح الطبيعة لكي تطابق قوانينه بدلا من إصلاح نظرياته لتكون قوانينها تطابق التجربة.([1])وإذا كان ما حدث في الغرب من انزواء لعلوم الدين في أركان الكنيسة يتعلق بالصراع بين الكنيسة والعلماء، فإنه من الخطأ أن يسود الاعتقاد بأن الانفصال بين العلم والدين شرط من شروط قيام الحضارة، أو أن العلم بفروعه المختلفة لا يمكن الا أن يكون (علمانياً). لقد أدى هذا الاعتقاد الخاطئ في بلاد المسلمين إلى حالة من الركود العلمي شلّت في ظلها كل مقومات الإبداع والابتكار في مختلف مجالات النشاط الإنساني.([2])

لقد قدر للعلم أن يسير في هذا الطريق المنحرف من منطلق ردود فعل العلماء و ردا على تعسف رجال الدين في الغرب،غير أن هذه الفجوة بين العلم والدين أخذت تضيق،ولم يكن أمام العلماء بد من الاعتراف بأن العلم لا يملك إلا أن يسير في طريق الإيمان. ([3])و لقد أكد ألكسيس كاريل على ضرورة الاهتمام بعِلم الإنسان، والعمل على بناء كل العلوم والمناهج والنظريات على طبيعته، وذكر أنَ ضرورة ذلك تأتي من أن علوم الجماد فشلت في تحقيق السعادة والأمن للإنسان.فالتقدم العلمي المذهل،لم يعط الإنسانَ العصري الأمن والراحة،والسبب كما حدده كاريل أنَ العلم الحديث لم يخاطب أهواءنا،ولم يتوافَق مع ذواتنا،وأضيف على ذلك أننا خالفنا منهج الحق عزَّ وجلَّ، فالله وضع منهجا ربانيا واضحا، على علم كامل بأحوالنا وقدراتنا ومواهبنا، فإذا ابتغينا التقدم والنهضة في

---

[1] -أبو يعرب المرزوقي،"**آفاق النهضة العربية، ومستقبل الإنسان في مهب العولمة**"،دار الطليعة، بيروت،ط1، 1999، ص: 209.

[2] د. يحيى هاشم فرغل، **حقيقة العلمانية بين الخرافة والتخريب**، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف ،1989م..

[3] - نخبة من العلماء الأمريكيين، **الله يتجلى في عصر العلم** ،ترجمة الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان راجعه وعلق عليه الدكتور محمد جمال الدين الفندي ،دار القلم، بيروت – لبنان. و انظر ايضا: وحيد الدين خان ،**الإسلام يتحدى** ،ترجمة ظفر الدين خان ،مراجعة وتقديم د. عبد الصبور شاهين.

غيره، انتكسنا إلى التعاسة والشقاوة، وهذا لا يدعو إلى نبذ المنهج العلمي، بل يدعو إلى وضع الدين وتعاليمه الصحيحة كقائد يسوقنا إلى الحقيقة، وبوصلة تدلنا عليها.يقول الكسيس كاريل "إن صحة العقل والحاسة الفعالة والنظام الأدبي والتطور الروحي تتساوى في أهميتها مع صحة الأبدان ومنع الأمراض المعدية" .([1])

إن الإنسان لا يتأتى له أن يحي حياة مستقيمة بمعزل عن توجيه الوحي, وقد كان للإعراض عن هذا الطريق انعكاساته السلبية على المجتمع الإنساني,وهي نتيجة طبيعية لتحكيم الإنسان عقله في مجالات لا يملك أن يفصل فيها كإنسان, وهذا يكفي للدلالة على مصداقية الوحي موجها ومقوما لحركة الإنسان على الأرض،يحدد له سلوكه وأخلاقه،ويضبط فكره وتصوره، ويجيب على كثير من تساؤلاته الفطرية المشروعة حول الأبعاد الغيبية التي لا يملك الإجابة عنها, ويحدد له مكانته في هذا الوجود والغاية منها، ويعرفه بخالقه وما يلزمه في مقام العبودية، كما يعرفه بحقوقه تجاه نفسه وغيره...., وهي مجموع القضايا التي تشكل الحقل المعرفي لنشاط الإنسان في سعيه الدءوب نحو إعطاء إجابات مقنعة وصحيحة قد يقترب فيها من الحقيقة بدرجات متفاوتة، ولكنه قد يتنكب الطريق بمعزل عن الوحي وهو الأغلب الأعم.

ان علاقة الوحي بالعلوم الإنسانية علاقة متعددة الجوانب،وأهميتها تكمن في أن كليهما يعالج موضوعا مشتركا هو عالم الإنسان بكل أبعاده المادية والنفسية والتنظيمية والأخلاقية..., وهي موضوعات لا بد أن يقول فيها الوحي كلمته الفاصلة ولا يتصور أن يستقل بدراستها الإنسان بمعزل عن رقابة الوحي وتوجيهه.([2])و يمكن أن نستفيد من الوحي في عدة ضوابط منهجية تمكن هذه العلوم من تحقيق موضوعيتها.اذ ان شمولية الوحي واستيعابه لمختلف النشاطات الإنسانية المادية منها والروحية من شأنه أن يفتح آفاقًا واسعة أمام العلوم الإنسانية؛ لتخرجها من إطارها المادي الضيق الذي وجدت فيه والذي انتهت معه إلى اختزال الإنسان في جوانبه المادية مع إغفال جوانبه الروحية والنفسية والعناصر الجمالية فيه.كما ان

---

[1] - الكسيس كاريل ،**الإنسان ذلك المجهول**،ترجمة شفيق أسعد فري، مكتبة المعارف،بيروت،ط 1 ،2003، ص 55.

[2] -د. محمد أمزيان،**أصول المنهج المعرفي من القرآن والسنة،مجلة المسلم المعاصر**،لبنان،1998 ،العدد87،ص77-154 .

هذه الشمولية يمكن أن تفتح آفاقا جديدة بإمكانها أن تغير الصورة التقليدية لمفهوم العلمية من سلطة النزعة التجريبية كما تمارس في العلوم الطبيعية، وتعيد الاعتبار للأنساق المعرفية التي تعيد الاعتبار للقيم وتعتمد الدين مصدرا معرفيا. ([1])وهنا فقط تتحرر العلمية من رواسب التاريخ الثقافي الغربي وتضع حدا لكونيته المزعومة.

ان العلوم الإنسانية في عمومها تفصل بين أحكام الواقع وأحكام القيمة، أي بين مجال البحث العلمي ومجال القيم وذلك لأسباب منهجية باعتبار أن القيم التي يدين بها الباحث تقف حائلًا دون تحقيق الموضوعية العلمية المرجوة، ومع أن هذا الإجراء المنهجي له قيمته العلمية في تحرير الباحث من ثقل العادات والتقاليد والموروث البيئي, فإن الثابت هو استحالة الفصل بين الباحث وبين مجموع القيم التي اكتسبها من وسطه؛ ولذلك لم يتم احترام هذه القاعدة النظرية على المستوى العملي, وظلت البحوث الإنسانية مثقلة بالتعصب والانحياز. وحل القضية في منظور الوحي ليس في تجريد الباحث من قيمه . فهي عملية مستحيلة ما دمنا لا نستطيع أن نجرد الإنسان من نوازعه الإنسانية . ولكن في ربط الباحث بقيم الحق والعدل ,وتحريره من ثقل العادات والتقاليد التي يمليها الوسط الاجتماعي الضيق , والاحتكام إلى القيم العادلة التي تأخذ شرعيتها من الوحي باعتبارها متحررة من ثقل الميولات البشرية.

إن الوحي يفصل بين مجالي الثوابت والمتغيرات, الثوابت الأخلاقية والأدبية والإيمانية التي ينبغي الرضوخ لها, والمتغيرات السلوكية التي ينبغي تكييفها وفق مقتضيات القيم العادلة. ولقد أدى تجاهل هذا الأصل إلى انحطاط الإنسان وقتل نوازع الإنسانية فيه. وفي هذا يرى "الكسيس كاريل" ان انحطاط الإنسان الأوروبي يرجع بالدرجة الأولى إلى غياب قيم الحق والعدل والجمال, وهو يتوقع أن تكون الجماعات التي بلغت فيها الحضارة الصناعية أعظم نموها وتقدمها هي الجماعات والأمم الآخذة في الضعف والتي ستكون عودتها إلى البربرية والهمجية أسرع من غيرها, بعد أن طرحت الآداب العامة ولم يعد هناك خلاف بين الخطأ والصواب والعدل والظلم.([2])

---

[1] - د. محمد أمزيان، المرجع السابق، نفس الصفحة .

[2] - الكسيس كاريل ،**الإنسان ذلك المجهول** ،ص ص 41-177.

إن العلوم الإنسانية في الغرب على تقدمها وعمق بحوثها وحجم معاهدها والمتخصصين فيها .لم تفلح في رفع المستوى الأخلاقي للإنسان، ومن هنا كانت حاجتها الملحة إلى أخلاقيات الوحي.فاعتبار الوحي ضمن المصادر المعرفية للعلوم الإنسانية يمكن أن يصحح كثيرا من نتائج هذه العلوم, ويقدم معلومات جزئية إضافية تعين على كشف حقائق قد لا يتوصل إليها بمعزل عن إخبار الوحي.كما ان الوحي يستوعب التاريخ الإنساني في خطوطه العريضة ويرسم حركته على الأرض ليس فقط في ماضيه, بل في مستقبله أيضًا ,وتلك خاصية من خصائصه التي لا تشاركه فيها المعارف الإنسانية باعتباره أحكامًا إلهية نهائية, تظهر في صيغة الخبر عما كان وما سوف يكون .

نستنتج أن الوحي يمكن اعتباره وثيقة تاريخية فريدة في تغطية حياة الإنسان الممتدة في أعماق التاريخ, وهذا أمر له أهميته في إضاءة جوانب ظلت غامضة في تاريخ الإنسان الحضاري والاجتماعي والسياسي والمالي والقانوني والأخلاقي والأسري والديني...([1]).كما يكشف الوحي عن الصورة الأولية لنشأة النظم الاجتماعية التي سادت عند الإنسان الأول, وقد اعتقدت النظريات الإنثروبولوجية أنها نظم بدائية في أصلها, نشأت بصورة تلقائية, واعتبرت المجتمع بعاداته وتقاليده هو المسئول الأول عن إيجادها. وهذه الصورة المشوهة يعاكسها الوحي كلية؛ إذ يؤكد أن الأصل في النظم التي عرفها الإنسان الأول ليس في مظاهرها المرضية؛ لأن هذه المظاهر تعتبر أمرا طارئا في حياة الشعوب والمجتمعات لم يتجذر فيها إلا بعد ما فقدت الفطرة قوتها الدافعة؛ لتبتدع أشكالًا من النظم المنحطة, كما ينكر الوحي تجاهل الأصل الإلهي لهذه النظم وكونها هبة من الله.كما ان احداث قطيعة مع الجوانب غير المادية في سلوك الانسان، التي تنتمي إلى عالم الغيب، أي" الجوانب الروحية" و إهدار هذا القطاع الحيوي من مكونات الظاهرة الإنسانية كموضوع للبحث، واستبعاد الوحي الصحيح وكل المعارف الدينية كمصدر لمعرفة الإنسان هي أسباب أساسية للصعوبات التي تواجهنا اليوم في فهم الإنسان والمجتمع وفي التضارب النظري الذي يعوق تقدم العلوم الاجتماعية.

[1]-د.محمد أمزيان،**منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية**،منشورات ببيت الحكمة للترجمة والنشر،وجدة،ص 179.

ومن جهة اخرى نلاحظ أن التطورات الحديثة في العلوم الطبيعية وعلوم الأعصاب وعلم النفس قد فتحت الطريق أمام فلسفة جديدة للعلم والتوجه الجديد في البحث،وفلسفة جديدة للعلوم الاجتماعية تتجاوز النزعات المادية التقليدية،وتتجه لإعطاء العوامل الذاتية والعقلية والروحية في الإنسان مكانها الطبيعي كموضوعات للدراسة العلمية.كما انها فتحت الباب أمام تبني نظرية معرفية متوازنة تقترب مما أطلق عليه بيتريم سوروكين (1889-1968)" Pitirim Sorokinالنظرية التكاملية للحقيقة والواقع " والتي تقوم على تكامل الحقائق المستمدة من الوحي و العقل والحواس . .([1]) ومن الواضح اذن أن العلوم الانسانية والاجتماعية في الوطن العربي أو في العالم الإسلامي تحتاج الى مقاربة التصور الإسلامي،ذلك التصور الذي يقوم في مطلقاته الوجودية(الأنطولوجية)أساسا على وحدة الخالق ووحدة الخلق،كما يقوم في منطلقاته المعرفية(الإبستمولوجية)على وحدة الحقيقة ووحدة المعرفة ومن ثم على التكامل بين أدوار كل من الوحي والحس والعقل في الوصول إلى الحقيقة.ومن هنا فلايمكن تصور وجود أي تناقض بين الوقائع الكونية الثابتة والآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة بأي حال من الأحوال فالقرآن الكريم يقدم حلولا للعديد من القضايا الفردية والمجتمعية، فقد بين لنا علماء التفسير كيف أن الآيات القرآنية كانت تنزل لتعالج مشكلة من مشكلات الحياة في المجتمع العربي،كما نجد من الآيات القرآنية ما يفيد الباحثين في العلوم الاجتماعية حين يعملون على سبيل الكشف عن مدى العلاقة بين الفكر والواقع ([2]).إن العلوم الإنسانية من هذا المنظور يجب أن تستمد وجودها من الحقيقة القرآنية، هذه الحقيقة التي كانت نبعا لعلماء مسلمين ألهمتهم الخروج بنظريات يمكن أن نعوّل عليها ونعتمدها بديلا عن تلك النظريات التي نشأت في بيئة مشعة بالروح الوضعية نتيجة آراء ترفض البعد الميتافيزقي للإنسان،ولا تريد أن تنظر إلى الكائن الإنساني إلا من منظور حياته الدنيوية فقط([3]).فالبديل عندنا في حضارتنا

---

[1] - Sorokin, Pitrim A ,***Social and Cultural Dynamics*** (1985 ed.) (New Brunswick, NJ : Transaction Publishers), 1957 ,P 228-229

[2] محمد أحمد خلف الله، إشكالية التراث والعلوم الاجتماعية، ضمن كتاب إشكالية العلوم الاجتماعية في الوطن العربي، مرجع سابق، ص . ص348 - 352.

[3] جورج قنواني، التراث الإسلامي وإشكالية العلوم الاجتماعية في الوطن العربي، ضمن كتاب إشكالية العلوم الاجتماعية...،مرجع سابق، ص381.

وتراثنا كما يؤكد أحد الباحثين بقوله:"هل نحن في حاجة إلى التذكير بأن العلوم الاجتماعية انطلقت أيضا من المجتمعات العربية، وأنها راسخة القدم عندنا منذ عهد بعيد،إذ كان للبيروني مثلا ولابن خلدون-وغيرهم- فضل لا ينكره أحد؟ فدراسة منهجية ابن خلدون لا تزال لافتة للانتباه، لما سنته من قواعد ما تزال حداثتها محلا للبحث والتعليق([1]).

خاتمة

تبقى العلوم الإنسانية الآن ضرورة تفرض نفسها كمعرفة تزداد يوما بعد يوم كما تبقى الجوانب الروحية من المكونات الاساسية للظاهرة الإنسانية ،فاستبعاد الوحي الصحيح وكل المعارف الدينية كمصدر لمعرفة الإنسان هي أسباب أساسية للصعوبات التي تواجهنا اليوم في فهم الإنسان والمجتمع وفي التضارب النظري الذي يعوق تقدم العلوم الاجتماعية.

و عليه فان تحقيق التقدم المنشود في تلك العلوم لا يمكن أن يتم إلا من خلال إعادة نظر جذرية في المسلمات الأنطولوجية والإبستمولوجية المعرفية التي تقوم منهجية العلوم الاجتماعية عليها، وذلك في ضوء التقويم النزيه لإنجازات تلك العلوم حتى الآن من جهة، وفي ضوء التطورات الحديثة في فلسفة العلوم من جهة أخرى.

[1] علي الوردي، منطق ابن خلدون، تونس، 1976. ينظر أيضاً: عبد الوهاب بوحدبة، تطور مناهج لبحث في العلوم الاجتماعية، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد 20، العدد 1، أبريل - يونيو 1989، ص20.